الاستمرارية والنجاح.. ماذا تعلمنا نظرية محطة حافلات هلسنكي؟

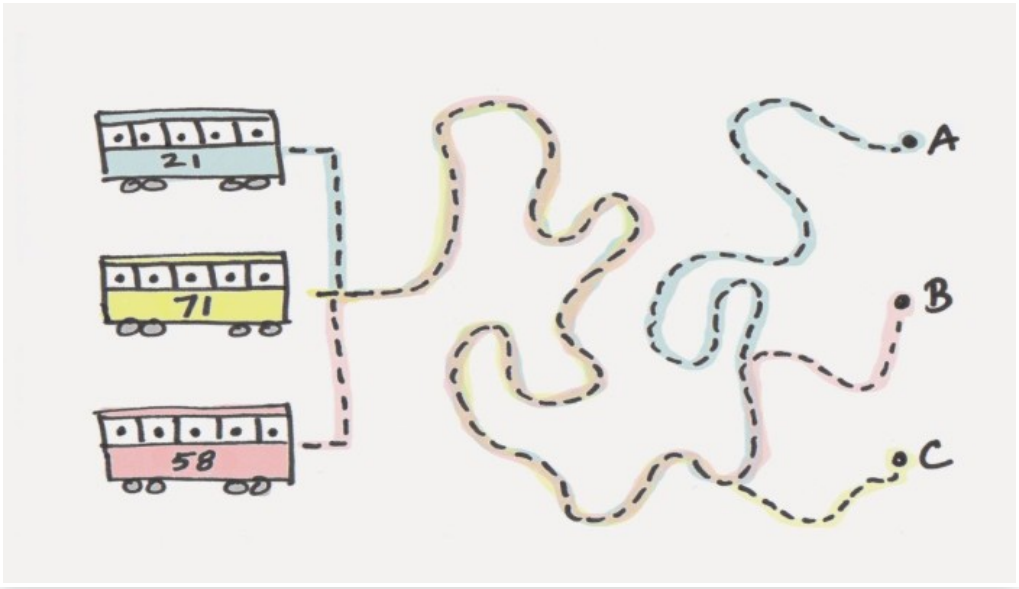

الثلاثاء 22 سبتمبر 2026 04:00 م

يطرح الكاتب جيمس كلير نظرية «محطة حافلات هلسنكي» باعتبارها درسًا مهمًا في الإبداع والنجاح، مفادها أن الوصول إلى عمل فريد وذي معنى لا يتطلب البحث المستمر عن طريق جديد، وإنما يحتاج إلى البقاء في المسار نفسه فترة كافية، مع إعادة النظر في الأفكار وتطويرها حتى تتشكل بصمة صاحبها الخاصة.

ويستعرض جيمس كلير في مقاله تجربة المصور الفنلندي أرنو رافائيل مينكينن، الذي شرح في خطاب تخرج ألقاه عام 2004 في مدرسة نيو إنجلاند للتصوير الفوتوجرافي نظريته الشهيرة. ويشبّه مينكينن المسيرة الإبداعية بركوب حافلة تغادر محطة هلسنكي وتسير في خط معين مع حافلات أخرى، قبل أن تتفرع كل واحدة منها إلى وجهة مختلفة.

نظرية محطة حافلات هلسنكي.. لماذا يجب أن تبقى في الحافلة؟

يرى مينكينن أن الفنان قد يعمل لسنوات على أسلوب معين، ثم يكتشف أن فنانين آخرين سبقوه إليه، فيقرر النزول من الحافلة والبحث عن مسار جديد. لكن تكرار الأمر يعني أن الفنان يقضي حياته في الانتقال من طريق إلى آخر، بينما يظل منشغلًا بالعثور على فكرة لم ينفذها أحد.

ويكمن الحل، بحسب النظرية، في البقاء في الحافلة. فالحافلات قد تسير في الطريق نفسه لفترة، لكنها تبدأ بعد ذلك في التباعد، وتتجه كل واحدة إلى وجهة مختلفة. وبالمثل، قد يبدأ الفنان متأثرًا بأعمال الآخرين، لكن الاستمرار في تطوير أسلوبه يمنحه الوقت الكافي حتى تظهر الفروق بين تجربته وتجارب من سبقوه.

ومع تراكم الأعمال والسنوات، تبدأ هذه الاختلافات في تكوين رؤية فنية مستقلة. وقد يعاد تقييم الأعمال القديمة التي بدت في بدايتها متأثرة بالآخرين، بعدما تظهر الصورة الكاملة لمسيرة الفنان وبصمته الخاصة.

النجاح لا يحتاج إلى مزيد من العمل فقط.. بل إلى إعادة العمل

يشير كلير إلى أن الاستمرارية وحدها لا تضمن الإتقان. فقد يقضي الطالب آلاف الساعات في الفصول الدراسية دون أن يصبح خبيرًا في التعلم، وقد يكتب الموظف آلاف الرسائل الإلكترونية دون أن يمتلك مهارات كتابة رواية عظيمة، كما قد يمارس الشخص الرياضة لسنوات دون أن يصل إلى مستوى الرياضي المحترف.

ويكمن الفارق في إعادة العمل والمراجعة. فالمتميزون لا يكررون الشيء نفسه بصورة آلية، بل يعيدون التعلم والكتابة والتدريب، وينظرون إلى أخطائهم وأفكارهم السابقة باعتبارها مواد قابلة للتحسين.

ويرى كلير أن قاعدة العشرة آلاف ساعة من التدريب المتعمد، التي اشتهر بها كتاب «Outliers» لمالكوم جلادويل، لا تعني مجرد قضاء عشرة آلاف ساعة في ممارسة نشاط ما. فالتدريب المتعمد يتطلب الانتباه والمراجعة والتطوير. وقد يقضي كثيرون عشرة آلاف ساعة في العمل، لكن عددًا قليلًا منهم يقضي عشرة آلاف ساعة في مراجعة عمله وتحسينه.

أي حافلة ستختار في حياتك؟

يؤكد كلير أن الإبداع لا يقتصر على الكتاب والفنانين والموسيقيين؛ فالمدير الذي يبتكر مبادرة جديدة، والمحاسب الذي يطور طريقة أسرع للعمل، والممرض الذي يبحث عن أسلوب أفضل لرعاية المرضى، جميعهم مبدعون

وسيواجه أي شخص يحاول تقديم شيء جديد الفشل، لكن المشكلة تبدأ عندما يدفعه كل إخفاق إلى ترك مساره والبحث عن حافلة أخرى على أمل أن تكون الرحلة أسهل

لذلك، يدعو كلير إلى اختيار المسار الذي نريد أن نقضي سنواتنا في تطويره، ثم البقاء في الحافلة فلا أحد يعرف مسبقًا أي طريق سيكون الأفضل، لكن تحقيق الإمكانات الكاملة يتطلب اختيار طريق ما، ثم منحه الوقت الكافي حتى تتبلور الأفكار، وتتراكم الخبرة، وتظهر الرؤية الخاصة

وفي النهاية، قد لا يكون سر النجاح في العثور على الحافلة المثالية، بل في البقاء فيها طويلًا بما يكفي حتى يصبح الطريق طريقك أنت

https://jamesclear.com/stay-on-the-bus